تمثلات الخطابات الهامشية في الرواية الجزائرية مابعد الكلونيالية -رواية نادي الصنوبر و الذروة لربيعة جلطي أنموذجا-

The marginal discourses of the Algerian post-colonial novel – The Pine Club and the Climax by Rabia Jalati as a model -

سمية قندوزي *

جامعة الجزائر 2guendouzisoso@outlook.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/31 تاريخ القبول: 2021/06/02 تاريخ النشر: 2021/06/20

ملخص: أصبح الموروث الشعبي لدى الروائيين الجزائريين قاعدة أساسية ينطلقون منها في كتابة أعمالهم الإبداعية، وكما أضحى النموذج الأنسب الذي يعينهم على التعبير عن ثقافة المجتمع الجزائري وقضاياه، وعليه باتت الاستعانة بالتراث الشعبي في فن الكتابة الروائية بالوقت المعاصر أمرا ملحا، خاصة إذا اعترفنا أن الرواية كجنس أدبي هي الأكثر قدرة، واستيعابا للزخم الذي يتميز به موروثنا الشعبي ، لذلك تحاول هذه الأوراق مساءلة الرواية النسوية من خلال روايتي "الذروة ونادي الصنوبر"تحت ضوء طروحات نظرية مابعد الكلونيالية، ومدى استفادتها من فكرة المركز والهامش، وذلك من خلال الوقوف عند الوعي الجديد للهوية بعيدا عن نظرة الآخر، والتركيز على الأنا، انطلاقا من الهوية الثقافية.

كلمات مفتاحية: الخطاب، الرواية، الهامشية، مابعد الكلونايلية، الثقافة، الموروث الثقافي.

Abstract:

Heritage has become popular among Algerian novelists basic base from which to write their creative work, as has become the most appropriate model appointed by the expression of the culture of Algerian society and its issues, and it has become the use of folklore in the art of writing fiction contemporary time is urgent, especially if we recognize that the novel as a race literary She is the most capable, and assimilates the momentum that characterizes our popular heritage. Therefore, these papers attempt to question the feminist narrative through my novel "The Climax and The Pine Club" in light of the propositions of the post-colonial theory, and the extent to which it benefited from the idea of the center and the periphery, by

المؤلف المرسل*

standing at the new awareness of identity far away. From the view of the other, and focus on the ego, based on the cultural identity.
Keywords: Discourse, novel, marginalism, post-colonialism, culture, cultural heritage.

الكتابة إنتاج إبداعي ثقافي، يمارسه كل من الرجال و النساء كل حسب طريقته و نشير أولاً إلى أن خاصية الكتابة هي الصفة الجوهرية الملازمة لإبداع المرأة حيث تحجز لنفسها موقعاً في كل تمييز إصطلاحي يخص إبداعها في مختلف الأصناف الأدبية رغم تمايزاتها الداخلية المحتملة، و هي إستراتيجية دفاعية "تستعيد الكاتبة بها ذاتها من عوامل الصمت و التهميش ، و بواسطتها تعيد تشكيل أناها بعيدًا عن النمطية، و في قيود الوضع الجمالي و الثقافي والاجتماعي(مجموعة من الكاتبات النسائية ،2007، ص 3.)و تكون هذه الكتابة مخصصةً للإبداع و التعبير حيث تتجلى خصوصية كتاباتها، و من الطبيعي أن "يختفي هذا الجانب أو يتوارى نوعـــا ما عندما تكون الكاتبة موضوعية أو علمية" (المعنى صلاح ، 1994، ص 40)، و المبدع بشكل عام ذكرًا كان أم أنثى يكتب من خلال خياله الإبداعي، و ما اختزن في ذاكرته من مشاهد، و خبرات و أفكار و عادات و تقاليد و ثقافة ترسبت في عقله ، و تجارب إنسانية تنعكس على خبراته المتراكمة حول الحياة لينسج منها مادته الأدبية شعرًا كانت، أم قصة ، أم رواية فهو لا يكتب من فراغ، و من هنا نجد أن الكتابة الأدبية لا بدّ أن يظهر فيها جزء من هوية الكاتب سواء كان أنثى أم ذكرًا.

و بحكم الوضع التاريخي و السياسي، و الإجتماعي الذي أحاط بالأنثى على مر العصور و الذي كان معيقاً لها و حاصراً إيـــــاها في أدوار محددة نجـــــد أن هـــــوية هـذه الأنثى و ثقافتها و إدراكها قـــــد تأثرت بهذا الوضع ، و لا تزال إذ ما حصلت عليه حتى للتو من فـــــرص للإندماج في الحـــقل الثقافي، و الإجـــتماعـــــي و الإقتصادي محـدودة مقارنة بالرجل الذي كل الفرص متاحة أمامه ، فحـركة المرأة و احتكاكها بالعالم الخارجي و علاقتها بالإنسانية و حريتها في التعبير بدون الوقوع في هاجس الخوف من العيب و المحظور.

إن الروائيات الجزائريات خبرن أزمات المجتمع، بتنوعها وتعددها، وتأثيراتها، وامتلكن الثقافة العميقة، والنظرة الثاقبة محاولين تجسيد هذه الأزمات

المرلف المرسل *

في رواياتهن وتقديم رؤية متميزة إلى العالم من حولهن، في رحلتهن الطويلة مع العطاء الروائي، من أجل الوصول إلى مرتبة فنية عالية المستوى، تساهم في تشكيل هوية الرواية الجزائرية والدفع بها إلى مكانة أرقى، وتراكم المشاكل الإجتماعية القطرية و الثقافية و الهوياتية ، هو ما دفع الروائيات إلى الإلتفات إلى الثقافة الجزائرية ، لعلها تسعفهم في إصلاح عطب الزمن العربي الحاضر وإعادة التأريخ من وجهة نظر ثانية بعيدا عن الآخر وهويته المختلفة و نظرته العنصرية، وقد أبت الروائيات إلا أن تكن بين تلك النخبة، من الروائيات العربية الملتزمات بقضايا الوطن والأمة، وقد إمتلاك الكاتبات الجزائريات ثقافة العصر المتشعبة والمعقدة، وقد ظهر ذلك في متونهم الروائية ، عندما يتطرقن إلى موضوعات الحرية والحياة والموة والحب و الجنس و العمل السياسي و الديني و خاصة الجانب الثقافي الذي يجمع كل هذه الأنساق.

و في ظل الصراع الحاد بين الثقافات -ثقافة الأنا والآخر- تزداد أهمية الرواية كفن، باعتبارها أداة حفظ وتسجيل للتراث الشعبي، وفي الوقت ذاته قناة ناقلة للثقافة من جيل إلى جيل آخر، وعلى هذا الأساس ، صار للمبدع علاقة خاصة بالثقافة والتراث، من خلال تجسيد روح المكان وذكرياته، وكذا تصوير أنماط سلوكاتهم، وأساليب تفكيرهم "فكثيرة هي النصوص السردية العربية الحديثة التي تتشكل على قاعدة إحدى العلاقات التي تقيمها مع التراث السردي العربي القديم" (يقطين سعيد ، 1992م، ص05)، وأضحت العلاقة بين الروائيين والتراث الشعبي ضرورة لا مناص منها، لمواجهة ما يسمى بالاغتراب الثقافي.

للتراث الشعبي فضل كبير على الرواية النسوية ، التي كلما استقت مصادرها منه، ازدادت أصالة وحيوية، وبهذه الطريقة تنفي عن نفسها فكرة أنها وليدة زمن قريب، أو أنّها فن غربي دخيل جاء بفعل المثاقفة، وفي الوقت ذاته، لايمكننا

المؤلف المرسل*

أن ننسى أهمية الرواية، كفنّ أدبي قادر على حفظ ونقل الموروث الشعبي من جيل إلى جيل آخر.

يعدّ التراث الشعبي جزءا مهمًّا من الثقافة ومصدرا أساسيا لها؛ باعتباره قناة مؤسسة لفكرة الحضور والبقاء بين الأنا والآخر، خاصة ونحن نعيش في عالم اكتسحتنا فيه العوالم الرقمية، فمن هذا المنطلق أضحى التراث الشعبي مكوّنًا أساسيًا للهوية، كون الأمم تعرف بهوياتها التراثية التي تجسّدها الثقافة، والحضارة...، وعليه صار التفريط في التراث الشعبي أمرًا مرفوضًا باعتباره انسلاخا عن الهوية، وتنكّرًا للأصول.

يتمظهر التّراث الشّعبي في أشكال متنوعة، باعتباره تراكم تاريخي، متعدد المشارب، منه ما هو سياسي، واجتماعي، واقتصادي،ومعماري...، وعلى هذا الأساس يقدم "محمد الجوهري" التّصنيف الآتي:المعتقدات الشعبية /العادات والتقاليد الشعبية /الأدب الشعبي /الفنون الشعبية، والثقافة المادية (نواريه كريمة وزدام سعاد ، 2017م، ص866.).

_غواية السرد وتراسل الموروث الشعبي في روايتي "الذروة ونادي الصنوبر":

وظفت "ربيعة جلطي" جملة من الموروثات الشعبية في كل من روايتها "الذروة " و "نادي الصنوبر"، لذا سنعرض في مقالنا هذا أبرز وأهم ما حفلت به الروايتين.

1 – المعتقدات الشعبية في الذروة و نادي الصنوبر:

1 .1- الشخص المحظوظ "الزهراوي":

يعتقد البعض أن هناك فئة من البشر يتمتعون بالحظ الوافر، وأن الأرزاق بأنواعها تجتمع حولهم، فهذه الجزئية التراثية سجلت حضورا في رواية" الذروة" من خلال إضفاء الروائية ملامح الشخصية المحظوظة على العمة "زهية "

ونستدل على ذلك بالعبارة التي أطلقت عليها: «عندها الزهر يشقف الحجر» (جلطي ربيعة، 2014م، **ص**20.)، وهي مقولة مستقاة من تراثنا الشعبي القديم.

ولقد اختارت "ربيعة جلطي" تلك المقولة الشعبية دون غيرها لأنها تتوافق مع ملامح الشخصية التي وظفتها، فالعمة "زهية" لطالما عرفت بوفرة الحظ المتمثل في كثرة الخطاب، الذين اغلبهم يعتلون مراكز مهمة في الدولة، بالإضافة إلى أن "زهية" امرأة متعلمة، قوية الشخصية، ومن ثم لخصت الروائية الفكرة المتخيلة التي أرادت تجسيدها في شخصية العمة "زهية".

1. 2 كشف الغيب بالتنبؤ وخط الرمل:

تزعم طائفة من الناس أن لها القدرة على التنبؤ بمصير الإنسان وكشف ما قد يحمله المستقبل من أحداث قبل زمن وقوعها، ولقد انتشرت هذه الممارسة -التنبؤ- منذ القدم، ولا تزال لحد الساعة كون بعض العائلات في مجتمعنا ظلت تؤمن بإمكانية التنبؤ بمستقبل أبنائها وأحفادها وفي ذلك تنوعت الطرق، استحضرت رواية "نادي الصنوبر" هذا النوع من الممارسة في إحدى مقاطعها السردية وبالضبط المقطع الذي يتنبأ فيه الجد "سيدي محمد بن مبارك" بمستقبل حفيدته "عذرا" وهي لا تزال طفلة صغيرة (جلطي ربيعة، 2017، **ص**10.)

ووظفت الروائية أيضا موضوع "خط الرمل" في روايتها "الذروة "؛ وذلك من خلال الحديث عن الساحرة "خداوج" التي زعمت أنّها تتقفى آثار "الياقوت" في الرمل(جلطي ربيعة، 2017، **ص** 138)

استعانت الروائية لهذا النوع من المعتقدات الشعبية ليس عشوائيا بل من شأنه أن يثير فضول القارئ، كونه قد ساهم في ربط وتسلسل عملية توظيف العناصر التراثية، أي ربط ما بين

معتقد السحر والشعوذة بمعتقد الجن، فكل هذه المعتقدات تندرج ضمن قائمة الموضوعات الخاصة بالعالم الغيبي.

3. 1 الطيرة و التفاؤل:

يقصد بالطيرة ما يتشاءم به المرء، ويثير فيه الخوف من أمر ما، وقد أقترن مفهوم التطيّر قديما بالطير الذي إذا طار يمينا تيمن به الناس، وأمّا إذاطار يسارا تشاءموابه " (بلعربي فاطمة ، 2012- 2013م، ص88)، أي جعلوا منه مصدر الشؤم لهم، وبمجيء الإسلام تم تحريم التطير، لما له من آثار سلبية على الفرد والمجتمع .

ولقد استحضرت "ربيعة جلطي" هذا النوع من المعتقدات الشعبية ووظفته في كل من روايتها "الذروة" و"نادي الصنوبر"، فعلى سبيل المثال في رواية "الذروة" نلمح توظيفا لمعتقد التفاؤل الذي يبث في النفس الأمل والسرور فهذا ما صورته الروائية من خلال إضفاء صفة التفاؤل على شخصية " لالة أندلس " الذي تتفاءل بالعدد الرابع عشر(جلطي ربيعة ، 2014، ص64) .

توظف الروائية معتقد الطيرة في روايتها "نادي الصنوبر" من خلال حديث "عذرا" مع أمها، كون هذه الأخيرة تتشاءم من لبس بنتها الخلخال قبل سن البلوغ(جلطي ربيعة ، 2017 ، ص141).

2 – العادات و التقاليد الشعبية :

2 .1- العلاقات الاجتماعية :

تمثل العلاقات الاجتماعية شكلا من أشكال التعبير بين أفراد المجتمع ، كونها «حقيقة أصلية من حقائق الوجود الاجتماعي» (أبو طالب براهيم، 2004م، ص46)، وعمدت

الروائية على توظيف جملة من العلاقات الاجتماعية في كل من رواياتها "الذروة" و"نادي الصنوبر":

2.2- الألقـــــاب و دلالتها:

كثيرا ما تكنى كبيرات السن، في أغلب العائلات " بلالة"، تقديرا لهن، علما أن لفظة "لالة" لها دلالات كثيرة منها: المرأة الحكيمة، العارفة، الناصحة، الخبيرة...، ومنها أيضا المرأة الآمرة، الناهية، المراقبة، والمدبرة .... ، تجلت هذه الجزئية التراثية في تسمية إحدى شخصيات رواية "الذروة" وبالضبط في شخصية الجدة "أندلس"، التي يناديها أغلب الناس "بلالة" (جلطي ربيعة ،2014 ، ص 49)، وهي كنية ظلت ملازمة لها طيلة حياتها.

والأمر نفسه في رواية "نادي الصنوبر"، التي تم توظيف فيها لقبا آخر ألا وهو "يمة" فالروائية لقبت إحدى شخصياتها بـ"يمة" إنطلاقا من المقطع السردي الذي ينادي فيه الشاب مسعود جارته الكبيرة بـ"يمة زهور" (جلطي ربيعة ، 2017، ص35)، تقديرا لعمرها، رغم أنها ليست أمه ولا تصله بها أية قرابة.

وعليه فإن إنتقاء و توظيف "ربيعة جلطي" لهذه الجزئية التراثية كان موفقا بدليل أنه قد ساعدها في رسم ملامح بعض الشخصيات الروائية في كل من روايتها "الذروة" و"نادي الصنوبر".

فلفظة "لالة" التي أطلقت على الجدة" أندلس" أضفت عليها صفات المرأة العارفة الخبيرة، وفي الوقت ذاته أضفت عليها صفات المرأة الآمرة، المدبرة الناهية، وهذا ما حافظت عليه "ربيعة جلطي" في جميع الأحداث الروائية، كما أضفنت لفظة "يمة" التي أطلقت على الجارة "زهور" قد أضفت على شخصيتها صفات المرأة المحبة، الطيبة التي تستحق كل

المؤلف المرسل*

الاحترام التقدير، وبالمقابل رسمت لنا صورة الشاب "مسعود" الذي بدى بملامح الإبن المؤدب والطيب، كونه يقدر ويحترم من هو أكبر منه سنا.

2. 3- يوم الجمعة وأهم العادات المصاحبة له:

تخصيص يوم الجمعة للاستحمام في حمام الحي ولطبخ الكسكسي عادتين شعبيتين عرفت منذ القدم إلا أنها لاتزال لحد الساعة تمارس من قبل العائلات الجزائرية، وهذا ما جسدته "ربيعة جلطي" في روايتها "نادي الصنوبر" ، يروي الشاب "مسعود" عن النساء اللواتي يتحمّمن كل يوم جمعة في حمام الحي ونستدل بالعبارة التالية: «أنتظره بفارغ الصبر كي أراقبهن يقصدنه...يدلفن إلى الباب... لست أدري لماذا يختارن يوم الجمعة» **(جلطي ربيعة 2017، ص 55).**

أمّا عن عادة تخصيص يوم الجمعة لطبخ الكسكسي وردت من خلال حديث "زوخا" الذي تحكي فيه عن رائحة مرق الكسكسي، الذي يظل يجول ويصول في أزقة الأحياء (جلطي ربيعة، 2017 ، ص 158).

4. 2 عادات مجتمع الطوارق:

وظفت" ربيعة جلطي" في روايتها "نادي الصنوبر" جملة من العادات والتقاليد الشعبية التي يختص بها أهل الطوارق كإقامة حفل طلاق للمرأة الطوارقية إذا تم طلاقها (جلطي ربيعة، 2017، ص15).

ولقد وردت هذه العناصر التراثية على لسان الحاجة "عذرا" عن طريق الاستذكار وهي في مقام الاعتزاز، والشوق إلى أهلها " الطوارقيين" ، فانطلاقا من ذلك استطاعت الروائية أن تستفيض في السرد عن ثقافة مجتمع الطوارق، وهي بذلك أثرت نصها الروائي وأضفت عليه أبعادا ثقافية. وكذلك بينت

الفوارق التي تميز أهل الشمال عن أهل الجنوب الذين يعيشون حياة بسيطة بعيدا عن كل مظاهر التمدن والترف .

3- تجليات الأدب الشعبي في الذروة و نادي الصنوبر .

1. 3 الأمثال الشعبية:

يعرف المثل الشعبي على أنّه «خطاب لغوي إيقاعي» (سعيدي محمد ، 2009م، ص29) ، وهو ما يستدعي ضرورة وجود مخاطب، ونص يلقى في سياق معين على مسامع المخاطب، ويعرف أيضا على أنه « قول مأثور يلخص تجارب» (إبراهيم نبيلة، (د.ت)، ص138) المجتمعات، كونه نابع من صدى الحياة الشعبية للأفراد .

ولقد إعتمدت "ربيعة جلطي" على توظيف مجموعة من الأمثال الشعبية في روايتها "الذروة" أهمها:

"صامت شحال من عام وفطرت على بصلة" (جلطي ربيعة ، 2014، ص30)، إن المعنى الذي يرمي إليه هذا المثل هو الاستسلام، حيث يقال هذا المتناص على الشخص الذي يطول صبره حتى يحقق هدفا ما، وفي الأخير يستسلم ويرضى بالقليل فهذا ما كانت تقصده العمة "كلثوم" عندما علقت به على زواج "زهية" بالصياد البسيط.

عالجت "ربيعة جلطي" موضوع الاستسلام من خلال توظيفها لهذا النوع من المتناقصات، فهي بهذه الطريقة انتقدت صفة الاستسلام وأنشأ في نفس القارئ دافعا ليتحلى بقيم حميدة كالصبروالصمود والإصرار ...

والأمر ذاته في رواية "نادي الصنوبر"، التي تضمنت العديد من الأمثال الشعبية في قول الراوي: "لا خطاك الجيب مابقالك حبيب" (ربيعة جلطي، 2017، ص159)، يقصد بهذا المثل، إذا لم تكن بحوزتك أموال لن يبقى لك صديق؛ وبعبارة أخرى إن لم

المؤلف المرسل*

تكـــن غنيـــا ستبقى وحيدا، وقد جاء هذا المتناص على لســـان "زوخـــا" فـــي مقـــام تذمرهـــا مـــن أهـــل المدينة التـــي وصفتهـــا بالصمـــاء .

ولقد عرجت "ربيعـــة جلطـــي" علـــى ظـــاهرة حـــب المـــال التـــي سببـــت طغيـــان الجانـــب المادي علـــى الجانـــب الروحـــي الأخلاقـــي، وذلك عندما حاولت مـــن خـــلال توظيف هـــذا المتنـــاص أن تقضـــي علـــى أهـــم مسببـــات هـــذه الآفـــة كالأنانيـــة وحـــبّ الـــذات.

2. 3 الحكـــايـــة الشعبيـــة:

إن الحديـــث عـــن الحكايـــة الشعبيـــة يقودنـــا إلى أن نعـــرف مصطلـــح الحكاية على حدى لـــذا سنـــورد أبســـط تعريـــف لها. يقصـــد بالحكايـــة، القصـــة القصيـــرة التـــي قـــد تكـــون أحداثهـــا أحيانـــا حقيقيـــة وأحيانـــا خيالية (عزيـــز عبـــد الله، 2012م، ص13)، ويعـــرف المصطلـــح جملـــة واحـــدة – الحكايـــة الشعبيـــة – علـــى أنّـــه: فـــن أدبـــي قديـــم يعـــود إلـــى آلاف السنيـــن (كـــارم محمـــود ، 2001م، ص06).

ولقـــد وظفـــت "ربيعة جلطي" هـــذا الفـــن فـــي روايـــة " الذروة "، انطلاقـــا مـــن حديـــث البطلـــة "أندلـــس"عـــن جدتهـــا، التـــي قصـــت عليهـــا حكايـــة المرأة التـــي لـــم تستطـــع حمـــل أثقـــال صدرهـــا بسبـــب غيـــاب زوجهـــا الجنـــدي، مـــا جعلهـــا تصنـــع بنفسهـــا تمثـــال مـــن تـــراب سمتـــه "أسعـــد" ، حيـــث كـــان هـــذا الأخيـــر الصديـــق المؤنـــس لهـــا(جلطي ربيعة، 2014، ص40).

وإن اختيار وتوظيـــف مثـــل هـــذا النـــوع مـــن الجزئيـــات التراثيـــة فـــي بنـــاء النـــص الروائـــي مـــن قبـــل الروائيـــة كـــان أمـــرا صائبـــا، كونـــه ساعدها على تجسيد فكرتهـــا الرئيسية المتمثلة فـــي إحيـــاء المـــاضي بمـــا يحمله مـــن عـــادات وبالأخص عـــادة قـــص الجـــدات حكايـــات شعبيـــة علـــى الأحفـــاد .

3.3- الأغنيـــة الشعبيـــة:

قبل الحديث عن مصطلح الأغنية الشعبية جملة واحدة علينا أن نعرف مصطلح الأغنية، التي في مفهومها البسيط «قصيدة شعرية ملحنة مجهولة الأصل، شائعة في زمن ما وما تزال حية في الاستعمال» (مسعودي ورديه ، 2014 – 2015م، ص32) أي أنها فن أدبي يشمل الشعر والموسيقى جماعي الإبداعي، شاع في زمن ما، وما يزال متداولا .

تعد الأغنية الشعبية «شكلا إبداعيا لاستنهاض الطاقات الكامنة عند الجماهير» (حنون مبارك، 1987م ،ص16)أي أنّها فن يستهدف الجماهير العريضة ويعبر عن تطلعاته في الحياة. ولقد وظّفت الروائية الجزائرية "ربيعة جلطي" الأغاني التراثية في روايتها "الذروة"، ونلمس ذلك في الكثير من المقاطع السردية فعلى سبيل المثال نذكر:

أ – أغنية الشيخ "الغفور"، والذي يقول فيها:

« لمن نشتكي بليعتي

عيد ولي ياهل الهوى

اش عيبي وذلني يخلوتي خاطري انكوى

شعلتا نيران مهجتي يضيعت القلب ما قوى» (جلطي ربيعة ،2014، ص17)

فهذا المتناص ساقته الروائية في إطار حديث "أندلس" عن عمتها "كلثوم"؛ التي رقصت على صوت الشيخ "الغافور" في عرس "زهية" .

إنّ عودة "ربيعة جلطي" إلى تراث الشعبي، قصد استلهام مثل هذا النوع من الجزئيات التراثية كان أمرا موفقا، سواء من حيث الاختيار أو طريقة التوظيف وبالأخص عندما اقتبست الروائية مقطعا من الأغنية الشعبية بإيقاع أندلسي لشيخ " الغفور" فهي لم تأخذ الأغنية بكاملها، بل انتقت المقطع الذي يسد حاجتها، ما

المؤلف المرسل*

أضفى على النص الروائي نوعا من الجمالية، كما نجحت الروائية في إستثمار هذه الجزئية التراثية، كوسيلة تحفز بها القارئ على مواصلة القراءة وتذوّق النص الروائي .

والأمر ذاته في رواية "نادي الصنوبر" فلقد لمسنا تنوعا في توظيف الأغاني الشعبية، لذا سنختار واحدة منها، وهي "العثمان بالي" بإقاع طوارقي، والتي يقول فيها:

«دمعة من القلب للعين
سالت على الخدين
نقشت على الوجه خطين .....
نار وجمر لاهبين ....." (جلطي ربيعة ، 2017، ص199.)

ورد هذا المتناص على لسان "زوخا"؛ التي تلخص فيه عذاب من تفارقه الحاجة "عذرا"، ولقد أصابت الروائية في إختيارها لهذه الجزئية التراثية، وفي الوقت نفسه أجادت في توظيفها عندما رافقت الأغنية بالحدث والشخصية التي تتوافق معها "فزوخا" أيضا قد تعلقت بالحاجة "عذرا" ولا تقوى على مفارقتها .

استثمرت "ربيعة جلطي" هذه الجزئية التراثية بطريقة ايجابية عندما اتخذتها وسيلة تخفّف بها ثقل الأحداث عن القارئ؛ وكذلك حينما استعانت بها لتحل محل الخاتمة المفتوحة ويظاهر ذلك عندما ختمت بها الروائية عملها الإبداعي.

4 – الفنون الشعبية والثقافة المادية في الذروة ونادي الصنوبر:

وظفت الروائية مجموعة من الفنون الشعبية في كل من روايتيها " الذروة"و"نادي الصنوبر" لذا سنذكر الأهم منها:

4 .1-الموسيقى الشعبية:

المرلف المرسل *

لقد اهتم أجدادنا بفن الموسيقى، واتّخذوه كشكل معبر عن أصالتهم، فصارت أفراح الناس لا تكتمل إلا بالموسيقى،فهذه الأخيرة بها طبوع متنوعة، تختلف فيها أذواق الناس من فرد إلى فرد آخر، وفي هذا الشأن تتحدث الروائية في روايتها " الذروة" عن عائلة "لالة أندلس" التي تهوى الموسيقى، فالعمة "كلثوم" تحب الإيقاع الأندلسي، أمّا العمة "مريم" فتعشق موسيقي الراي (جلطي ربيعة ، 2014، ص 17 /18)، وأمّا في رواية "نادي الصنوبر"، فقد جاء الحديث فيها عن الموسيقى الطوارقية وعن آلة الامزاد التي تختص نساء الطوارقيات بالعزف عليها (جلطي ربيعة، 2017،ص 134 ، 12)

4 .2- الرقص الشعبي:

إنّ الحديث عن الرقص الشعبي في مجتمعنا يفرض علينا أن نشير إلى الكم الهائل من الرقصات، فمنها : الرقصة الشاوية، الرقصة العاصمية، الرقصة القبائلية الرقصة النايلية ..، وعن هذا تتحدث "ربيعة جلطي" في روايتها "الذروة " انطلاقا من المقطعين السرديين التي تحكي فيهما عن الرقصة الأندلسية الذي برعت فيها العمة "كلثوم"، وعن الرقصة الرايوية التي أبدعت فيها العمة "مريم" (جلطي ربيعة، 2014، 18).

كما خصت الروائية في روايتها "نادي الصنوبر" الحديث عن الرقص الطوارقي من خلال وصف رقصة الحاجة "عذرا" في حفلة طلاقها، وكذلك عندما تكلمت عن رقصات رجال الطوارق بالسيوف المسلولة (جلطي ربيعة ، 2017، ص 117). وعليه ينبغي علينا أن نشيد باختيار "ربيعة جلطي" لمثل هذا النوع من الجزئيات التراثية، حينما انتقت الرقصات الأكثر شهرة وقدما.

أجادت الروائية من حيث استرسالها لهذه الجزئية التراثية؛ وذلك حينما اتّخذته أداة فنية ساهمت في رسم ملامح بعض الشخصيات وتعريفها فعلى سبيل المثال: ساهم الرقص الرايوي في رسم ملامح شخصية العمة "مريم" التي بدت على أنّها شابة مرحة، نشطة، تهوى الرقص وأجواء الصخب، و ساهم توظيف هذا الفن في بناء الأحداث الروائية فالروائية انطلاقا من فن الرقص صاغت أحداث ثانوية إنطوت تحت حدث كبير: ألا وهو عرس "زهية".

5/ الموروث الشعبي بين التميز والأنوثة:

1. 5- الأزياء التقليدية :

يتميّز كل شعب عن غيره سواء من حيث اختياره لنوع الألبسة أو طريقة ارتدائه لها، وتزداد أهمية اللباس كونه يبين شخصية الإنسان و طبقته الاجتماعية، و رواية " نادي الصنوبر" رصدت لنا بعض الأزياء التقليدية التي يرتديها الناس الشعبيين في حياتهم اليومية فعلى سبيل المثال نذكر: "الحائك" ويقال بالعامية: "الحايك"، فهذا الأخير جاء على لسان الشاب "مسعود" إثر حديث عن أمّه التي تلبس حائكها كل يوم جمعة لتذهب إلى حمام الحي " لاباستي" (جلطي ربيعة، 2017، ص62).

وفي مقاطع سردية أخرى، وظفت الروائية اللباس الطوارقي عندما تحدثت عن لباس الحاجة "عذرا"، وكذلك اللباس الذي يرتديه رجال الطوارق الذي أشارت إليه من خلال توظيف الكلمات التالية: اللثام، الرداء الأزرق، التقلموست ...(جلطي ربيعة، 2017، ص 144).

صورت رواية "نادي الصنوبر" المرأة التارقية بكل احترافية، في شكلها وسلوكها، من خلال لباسها و تصرفاتها ومعاملاتها تقول الروائية:"...تدخل

المرلف المرسل *

الحاجة عذرا الصالة بألبستها الفضفاضة ذات الألوان المتعددة، يغلب عليها الأسود الليلي البراق، أطرافها تطير في كل مكان.." (جلطي ربيعة ، 2017، ص 7)، وهنا وصف دقيق للباس التارقي وهو عبار عن قماش طويل يشبه الساري الهندي(د/م، 1998، ص45) ، وهنا ينتقل اللباس من سلوك ثيابي إلى نسق رمزي ثقافي، لأن المرأة التارقية عند لباسها هذا النوع من الألبسة فهذا غعلان غير مباشر لبلوغها (مباركة لحسن، ، 2019، ص33).

أشارت الروائية "ربيعة جلطي" إلى ضرورة التمسك بالباس الصحراوي التارقي، لأنه التخلي عنه يعتبر انسلاخ تنكر للهوي، وهذا ما ظهر في عديد من الإشارات السردية على غرار الشاهد التالي:"..لباسها الذي لم تتخلى عنه أبدا ولم تغيره.." (جلطي ربيعة ، 2017، ص 91).

وفقت الروائية في هذا الاختيار خاصة عندما رجعت إلى التراث وستأنست بأقدام زيّ شعبي ألا وهو "الحايك" الذي يرمز إلى أصالة المرأة الجزائرية، كما نجحت الروائية في توظيفه كونها عرفت كيف تستغله بما يخدم نصها الروائي، فعلى سبيل المثال لقد ساهم توظيف "الحايك" في رسم ملامح شخصية "أم مسعود"، حيث بدت على أنّها امرأة أصيلة مسلمة محافظة بسيطة.

بالاضافة للباس الصحراوي ، الذي لا يكتمل إلا بالعطر الصحراوي المميز الملاصق للجسد والحلي لتضمن بقاؤه طويلا ومتجددا ، لذلك إلتفت الروائية لهذه النقطة، ولم تتوانى عن ذكره في الكثير من المواضع، يقول الراوي"...كانت روائح الحلي من الأحجار العطرية، والعطور القوية ملتصقة بالجسد.." (جلطي ربيعة ، نادي الصنوبر ص 17) ، و يقول أيضا: "..تمتلئ الأمكنة بروائح المزيج من طيوب الصحراوية، لا تشبه في شيئ العطور الفرنسية المغشوشة ..."(جلطي ربيعة ، نادي الصنوبر ص 7) ، ففي هذه المقاطع السردية تتحدث الروائية عن العطور الصحراوية المتفردة، و المناسبة لطقوس المنطقة وعاداتها.

الحديث عن اللباس و العطر يسحبنا للحديث عن الحناء، وهي من النباتات المعروفة وأبدعت النسوة في استعمالها لتتربع على عرش الجمال و الأناقة

المؤلف المرسل*

(محمد عباس ابراهيم، 2009، ص 216) ، يقول الراوي:"..أنا عاشق مسهد ذو صبابة، إلا أنني أدرك جدا تشخيص دائي... إنه على يديها، يديها المحناتين وحدهما.." (جلطي ربيعة، 2017، ص 20).

5. 2- الحلـــي:

تهـــوى أغلبيـــة النســـاء ارتـــداء أجمـــل الحلـــي مـــن أســـاور، أقـــراط وخـــواتم؛ بغيـــة إبـــراز جمالهـــن، ســـواء كـــان ذلك عنـــد حضـــور الأعـــراس أو فـــي الحيـــاة اليوميـــة، وهـــذا مـــا عبـــرت عنـــه "ربيعـــة جلطـــي" فـــي روايتهـــا " الـــذروة"، مـــن خـــلال المقطـــع السردي التـي تصـف فيـه الساحرة "خـداوج"، التي كانت ترتدي أسـاور ذهبية وخواتم ضخمة (جلطي ربيعة ، 2014، ص137).

والأمـــر نفســـه في روايـــة "نـــادي الصنوبـــر"، حيـــث وظفـــت الروائيـــة نوعـــا خاصـــا مـــن الحلي ألا وهـــو : الخلخـــال، ولقـــد ورد هـــذا الأخيـــر فـــي حديـــث الحاجـــة "عـــذرا" التـــي كانـــت تحلـــم بارتدائـــه عندمـــا كانـــت طفلـــة صغيـــرة (جلطي ربيعة ، 2017، ص139)، ويمككنا القول أن الروائيـــة قـــد أصـــابت فـــي اختيارهـــا؛ كونهـــا غاصت في عمـــق الصحـــراء واستلهمـــت مـــن تـــراث أهلهـــا أقـــدم حلـــين تختـــص بارتدائـــه النســـاء الطوارقيـــات، ونجحـــت أيضـــا من حيـــث توظيفه؛ وذلك حينما اتخذت هـــذه الجزئيـــة التراثيـــة كعنصـــر فني أضفى نـــوع مـــن التميـــز والخصوصية علـى النســـاء الطوارقيـــات بمـــا فيهـــن الشخصيـــة الرئيســـة الحاجـــة "عـــذرا" .

5 .3- الطبـــــخ الشعبـــــي:

تشتهـــر كـــل منطقـــة مـــن مناطـــق العالـــم بأكـــلات خاصـــة، ســـواء مـــن حيث طريقة تحضيرهـــا أو تقديمهـــا، وعـــن هـــذا تتحدث "ربيعـــة جلطـــي" فـــي روايتهـــا "الذروة" حينمـــا وظفـــت أصنافا متنوعة مـــن الأطبـــاق الشعبيـــة كالكسكســـي، طاجيـــن الحلـــو والمحمـــر...، وكلهـــا أكلات تقليديـــة يتـــم طهيهـــا كثيـــرا فـــي المناسبات والأعيـــاد الدينيـــة، وفي السيـــاق ذاتـــه، وظفـــت الروائية نوعيـــن من الحلويـــات

التقليدية المقروط والقريوش (جلطي ربيعة ، 2014، ص24 ، 46)، والأمر ذاته في رواية "نادي الصنوبر"، كون الروائية تتحدث على لسان "زوخا" عن أشهر طبق تقليدي الذي يدعى "بالكسكسي"(جلطي ربيعة ، 2017، ص 158) .

استطاعت الروائية أن تتحكّم في توظيف مختلف العناصر التراثية بما يخدم نصّها الروائي، دون أن تظهر في صورة مقحمة أو مصطنعة؛ لهذا لمسنا توظيفا محتشما في الحكاية الشعبية، وغيابا لبعض الأنواع التراثية ، وقد اتّخذ توظيف الموروث الشعبي، أبعادا مختلفة "فكرية، سياسية جمالية ، فنية و تشويقية للقارئ، وإقتباس الروائية من النصوص التراثية وإعطائها دلالات معاصرة؛ ولد نصوص روائية فنية جديدة تؤصّل وتؤهل للهوية الجزائرية، و بهذا تكون الروائية قد أعادت ماهو هامشي إلى المركز بفضل لجوءها إلى مقولات مابعد الكلونيالية، ويعتبر لجوء الكاتبة إلى التراث الشعبي يظهر مدى تمسك الروائية الجزائرية "ربيعة جلطي" بأصالتها واعتزازها بالهوية الثقافية الوطنية.

قائمة المراجع:

1/ أبو طالب براهيم ، 2004، الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية، دراسة في التفاعل النصي، وزارة الثقافة و السياحة، صنعاء، اليمن.
2/ حنون مبارك،1987، الأغنية الشعبية، ظاهرة الناس الغيوان، دار النشر عيون للمقالات، ط1، الدار البيضاء.
3/ د/م، 1998، الصناعة التقليدية الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، الجزائر.
4/ جلطي ربيعة ، 2014، الذروة، دار الحكمة، (د.ط)، الجزائر.
5/ جلطي ربيعة ، 2017، نادي الصنوبر ، منشورات ضفاف، ط2، بيروت .
6/ يقطين سعيد ، 1992، الرواية والتراث السردي "من أجل وعي جديد بالتراث"، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.
7/ عزيز عبد الله، 2012، الحكاية الشعبية، دار زهران للنشر، عمان.
8/ بلعربي فاطمة ، 2012- 2013م ، توظيف المعتقد الشعبي في دراسة القصص القرآني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي، بإشراف موسوني محمد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
9/ كارم محمود، 2001، الأسطورة والحكاية الشعبية في العهد القديم،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر.
10/ نوارية كريمة و زدام سعاد، 2017، التراث الشعبي: المفهوم والأقسام، مجلة ميلافللبحوث والدراسات، ع866 المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف، ميلة، الجزائر.
11/ لحسن مباركة، 2019، المرأة الحسانية وثقافة الجسد، الوطن، دط، الجزائر.
12/ مجموعة من الكتابات النسائية ،2007، "محكى الأنا ، محى الحياة " ط1. منشورات اتحاد كتاب المغرب.
13/ سعيدي محمد، 2009، التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، (د.ط)، الجزائر.
14/ محمد عباس ابراهيم، 2009، الثقافة الشعبية، دار المعرفة الجامعية، دط، مصر.
15/ المعنى صلاح، 1994، أغرب ماقيل في النساء ، جروس برس للنشر، لبنان.

16/ إبراهيم نبيلـــة، (د.ت)، أشكال التعبير في الأدب الشعـــبي، دار النهضـــــة،(د.ط)، مصـــــر.
17/ مسعـــودي ورديـــة، 2014 – 2015، التناص مـــع الأغـــاني الشعبيـــة في روايـــة ذاكـــــرة الجنـــون والانتحار لحميـــد عياشي، بإشراف سعيـــد ســـــلام، جامعة الجزائر 2.